(٢٣)

خاتمة

المصريون(١) جميعاً قلقون وجلون ! لا يستقر لهم نهار ولا ينام لهم ليل . وما أظنهم عرفوا عيدا كهذا العيد ، لم ينعموا فيه بلذات الحياة، ولم يسع فيه بعضهم إلى بعض ما تعودوا أن يسعوا به من التحية والتهنئة ، لأنهم عن العيد ولذاته وتحياته فى شغل شاغل بهذا الهم المهم ، والخطب الملم ، والبلاء الذى ليس فوقه بلاء . . . ! استغفر الله — بل أنا أذكر عيدا شغل فيه المصريون عن لذة الحياة وعن التحية والتهنئة.

كان ذلك قبل الحرب الكبرى حين شبت نار الحرب بين تركيا ودول البلقان ، وحين دنت جيوش البلقان من قسطنطينية وعرضت دار الخلافة

---

(١) ١٩٣٣/٤/٨ عدد ٢٣٥٨

للخطر . هنالك شغل المصريون عن العيد ، واتصلت نفوسهم بعاصمة الخلافة ، يشفقون عليها ويتمنون لها النجاة . وقد استجاب الله يومئذ لهذه النفوس فلم تقتحم جيوش العدو خطوط المسلمين ، وذاق المسلمون لذة الحياة فيما بقى من أيام العيد .. !

أما عيدنا هذا الذى نحن فيه فقد شغل المصريون عنه شغلا متصلا . ومع أن الصحف لم تنقطع بل أخذت تنقل إليهم الأنباء وتذيع فيهم الأخبار ، فقد ظلوا قلقين مضطربين ، تترجح نفوسهم فى السماء بين اليأس والرجاء ، أى الخصمين ينتصر فى هذه الحرب الضروس التى تشب نارها ، ويتلظى أوارها حول سمنود . . ! أهو الجيش الظافر أم هو الرئيس الزائر ... ؟

وقد سكتت القيادة العليا فى وزارة الداخلية فلم تصدر بلاغات رسمية عن تفصيل الهجوم والدفاع ، وما كان فيهما من صراع . وأخذت صحف الوفد وحدها تقول فتفصل القول ، والناس يقرأون ويخافون على جيش الدولة ، ويتوقعون شرا من هذا الصمت الذى أغرقت فيه الدولة إغراقا شديداً . . !

وقد استمرت هذه الموقعة ثلاثة أيام ، وانتهت بعد ظهر أمس ، وعاد رئيس الوفد إلى القاهرة يحيط به عشرة من كبار الضباط ، ومن ورائه قطار مسلح ، وعن يمين القطار وشماله جنود منثورة ، وبنود منشورة ! فخيل إلى الناس حين وصل رئيس الوفد إلى محطة القاهرة أن جيشنا الظافر قد ظفر ، وأن قيادتنا العليا ستصدر بلاغا رسميا تطمئن له القلوب بين الجنوب ، وتعلن فيه الدولة هذا الفوز الباهر ، وأنها قد ربحت الموقعة كلها ؛ وجاءت برئيس الوفد أسيرا إلى العاصمة . . . !

ولكن القيادة العليا ظلت مغرقة فى الصمت ! فلم تقل شيئا ، وظلت مغرقة فى السكون فلم تصنع شيئاً ! وانطلق رئيس الوفد حيث شاء ،

وسينطلق رئيس الوفد حيث يشاء ، ومن حوله العيون والرقباء على أن لا يبرح القاهرة وإلا تجددت الحملة ، وعبىء الجيش والشرطة مرة أخرى .

وإذن فأى الخصمين انتصر ؟ هل انتصرت الحكومة فجاءت بخصمها أسيرا ؟ هل انتصر رئيس الوفد فذهب وجاء كما شاء ؟ مسألة فيها نظر.. ولـكن الشىء الذى لا شك فيه هو أن قلب وزير الداخلية قد استقر بين جنبيه منذ أمس ؛ وليس هذا بالشىء القليل ، فأنت تعرف أن قلب وزير الداخلية إذا خفق خفق له قلب مصر ، وإن جبين وزير الداخلية اذا تقطب تقطب له جبين مصر ، وأن سعادة مصر كلها رهينة برضى وزير الداخلية ، وشقاء مصر كلها رهين بغضب وزير الداخلية .

فيجب الآن أن تهدأ مصر ، لأن وزير الداخلية قد هدأ ! ويجب الآن أن تسعد مصر لأن وزير الداخلية قد رضى ! ويجب الآن أن ترفع الأعلام ، وتزدان المدن والقرى لأن وزير الداخلية قد انتصر ، ولأن رئيس الوفد قد وقع أسيراً فى يده . . . !

ألست ترى أن الأمر قد بلغ من الهزل أقصاه ؟ ! وانتهى من السخف إلى غايته ؟ ! فى مصر برلمان حقا ؟ وإذن فهل يريد هذا البرلمان أن يكون تابعا مطيعا لحكومتة الرشيدة ، سعيداً أن ظفر من هذه الحكومة بالثقة !

لو أن هذا العبث الذى ليس إلى وصفه سبيل وقع فى بلد يقدر كرامته ويحرص على هيبة الحكومة فيه لأدت الوزارة عنة أمام البرلمان حسابا عسيرا، أشد العسر . ولاضطرت الوزارة أمام سخط البرلمان إلى أن تستقيل ، فإن لم تفعل أقيلت وأكرهت على أن تنزل عن مناصب الحكم .

فالناس جميعاً يعلمون أن الوزارات إنما تقوم لرعاية مصالح الأمم وحماية منافعها ، فهى تقوم للجد لا للعب ، وهى تنصب للعمل لا للتمثيل.

والناس جميعاً يعلمون أن الوزارات قد تجور عن القصد ، وتضل عن سواء السبيل فتفسد حين يجب أن تصلح ، وتضر حين يجب أن تنفع ، ولكنها تحتفظ على كل حال بهيبة الحكومة وكرامة الدولة ، لأن الاحتفاظ بهذه الهيبة والكرامة شرط أساسى لاستقرار الأمن والنظام . فأما وزارتنا القائمة فقد أضاعت من مصالح البلاد ما أضاعت ، وأهملت من منافعها ما أهملت ، وأنكر الناس منها ذلك ، ولكنهم صبروا عليه ، واعتقدوا أنها ستحتفظ للحكومة بهذه الهيبة التى لا قوام للحكومات بدونها . فاذا هى تضيع هذه الهيبة أيضاً ، وإذا هى تجعل سلطان الدولة موضوعا للسخرية وتعرض جيش الدولة وشرطة الدولة للاستهزاء والازدراء .

يجب أن يعلم الذين إليهم أمر هذه البلاد أن المصريين جميعاً قد سخروا سخرية عميقة خطرة من هذه الحركات السخيفة التى دفع إليها جنودنا وضباطنا فى هذه الأيام الثلاثة الماضية . فان الإغارة على الحدود وحدها هى التى كانت تبيح تجنيد الجنود وإرسال القطارات المسلحة وتسخير السفن فى النهر ، وحرمان الضباط أن يستمتعوا بحقهم الطبيعى من الراحة فى أيام العيد . الإغارة على الحدود ، أو اضطرام الثورة هما اللذان كانا يبيحان للحكومة أن تأتى ما أتت من الأمر فى هذه الأيام . فأما أن يسافر رئيس الوفد ليزور قبر أبويه ، وليلقى أهله وعشيرته الأقربين فأمر يسير ، أيسر من أن يضطر الحكومة إلى كل هذه التعبئة .

إحدى اثنتين : إما أن يكون النظام الطبيعى اليومى عاجزا عن حماية الحكومة من سفر رئيس الوفد إلى سمنود ، وإذن فيجب أن تستقيل الوزارة لأنها اعترفت بالعجز عن حماية النظام وإقرار الأمن . وإما أن يكون النظام العادى اليومى قادرا على حماية الحكومة من سفر الرئيس إلى سمنود ، وإذن فيجب أن تستقيل الوزارة لأنها عبثت بالجيش والشرطة ، وجعلت كرامة الدولة وسلطانها عرضة للازدراء والاستهزاء !

لو أن البرلمان القائم يريد أن يؤدى عمله حقا لحاسب الوزارة حسابا عسيرا على هذا الموقف السخيف الذى وقفته ولاضطرها إلى أن تستقيل

لتقوم مكانها وزارة أخرى تحمى هذا النظام الجديد بعد أن عجز رئيس وزرائنا المريض ووزير(١) داخليتنا الظريف عن حمايته .

ولكن يظهر أن هذا النظام الجديد نفسه لا يمكن أن يحمى ويصان إلا على هذا النحو ، فهو لا يستمد قوته من إيمان الأمة به وتأييدها له ، واطمئنانها إليه . وإنما يستمد قوته من رئيس الوزراء ، وقد مرض رئيس الوزراء فمرضت معه الوزارة ، ومرض معه البرلمان ، فلابد من أن يمرض النظام أيضا ، وهو مريض، وأى مرض أشد من أن يسافر رجل واحد الى مدينة من المدن ، فترسل الحكومة وراءه ألفا من الجند ، وتلغى الحكومة فى سبيل ذلك أجازة جماعة من الضباط وتأمر الحكومة فى سبيل ذلك مديرين ألا يبرحا إقليميهما . . . !

أى مرض أشد من هذا المرض ؟ ومع ذلك فالذين يؤيدون رئيس الوزراء ، ويسندونه ما يزالون راضين عن هذه الحالة ، مبتهجين لها ، ينتظرون منها الخير . . . ! أما مصر فانها مشفقة من هذه الحال أشد الإشفاق ، لا ترجو منها خيرا ، بل لا تنتظر منها إلا الشر .

لقد نهض رئيس الوزراء ليمحق الفوضى محقا ، وإن وزارته الآن لتأتى كل شىء لتبسط سلطان الفوضى على البلاد . . . ! أما إذا كان رئيس الوزراء قد أراد أن يجعل وزارته لهو اللاهين ، ولعب اللاعبين فقد وفق الى ذلك كل التوفيق حين اختار وزير داخليته الجديد . . ! ولكن أين رئيس الوزراء ؟ أمتصل هو بالناس والأشياء حقا ؟ أعالم بما يجرى حقا ؟ إذن فقد فقد رئيس الوزراء بعد مرضه أخص ما كان يمتاز به من الخصال ، وهو الإشراف الدقيق على أمور وزارته والضبط الدقيق لتصريف هذه الأمور . إنما الوزارة القائمة أشبة شىء الآن بسفينة فقدت ربانها ، وعجز أعوان هذا الربان عن تسييرها ، وهى فى بحر لجى شديد

---

(١) هو محمود فهمى النقيسى باشا ، وكان محبوبا من سلطات الاحتلال .

العواصف ، ملتطم الموج . . ! فهى تسير على غير هدى ولا نظام ! تتقاذفها الأمواج وتعصف بها الريح ، فليعلم ذلك من إليهم تأييد الوزارات وخذلانها ، فقد يكون فى هذا العلم شىء من النفع .